Al-'Aqlu wa al-Hikmah fi al-Qur'an al-Kareem wa al-Sunnah al-Nabawiyah

العقل والحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية

Mohammed Abdul Razaq Hamad
mohammed.abd1701@coart.uobaghdad.edu.iq
Baghdad University, Iraq

Abstract: *The most honorable thing that researchers present in their research is what is in the service of the Great Qur'an and its glorious and bright sciences and the goal that it strives to achieve. Given that, I found in myself an urgent desire for his book (Wisdom and Reason in the Holy Qur'an), so it was the lost thing that I was seeking, so I decided to do this research. I seek help from the Most Gracious God, relying on Him, asking God Almighty to help me complete this effort. The research has been divided into an introduction and three sections. The first topic: Defining wisdom and reason in language and terminology. The second topic: Wisdom in the Qur'an and the Sunnah of the Prophet. The third topic: The mind. In the Qur'an and the Sunnah of the Prophet.*

Keywords: mind, philosophy, Al-Qur'an and Sunnah

Abstrak: Hal yang paling terhormat yang dihadirkan para peneliti dalam penelitiannya adalah apa yang mengabdi kepada Al-Qur'an Agung dan ilmu-ilmunya yang agung dan cemerlang serta tujuan yang ingin dicapainya. Oleh karena itu, saya menemukan dalam diri saya keinginan yang mendesak terhadap bukunya (Hikmah dan Akal dalam Al-Qur'an), sehingga hal yang hilang itulah yang saya cari, maka saya putuskan untuk melakukan penelitian ini. Saya memohon pertolongan kepada Tuhan Yang Maha Pemurah, bersandar kepada-Nya, memohon kepada Tuhan Yang Maha Kuasa untuk membantu saya menyelesaikan usaha ini. Penelitian ini dibagi menjadi pendahuluan dan tiga bagian. Topik pertama: Mendefinisikan kebijaksanaan dan akal dalam bahasa dan terminologi. Topik kedua: Hikmah dalam Al-Qur'an dan Sunnah Nabi. Topik ketiga: Pikiran. Dalam Al-Qur'an dan Sunnah Nabi.

Kata Kunci: Akal, Filsafat, Al-Qur'an dan Sunnah

Submission : 30-11-2023
Revised : 25-12-2023
Accepted : 11-01-2024

المقدمة

فإن أشرف ما يقدّمه الباحثون في بحوثهم ما كان في خدمة القرآن العظيم وعلومه الجليلة الزاهية والغاية التي يسعى من أجل تحقيقها، ونظراً لذلك وجدت في نفسي رغبة ملحة في كتابه في (الحكمة والعقل في القرآن الكريم)، فكان هو الضالة المنشودة فعزمت على القيام بهذا البحث مستعيناً بالله الكريم، متوكلة عليه، سائلةً المولى عز وجل أن يعينني على إتمام هذا الجهد، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

الحكم أصله المنع، ومنه سميت اللجام حكمة الدابة، ويقال: حكمت الدابة وأحكمتها، وحكمت السفيه، وأحكمته: أخذت على يده، وسميت الحكمة بهذا، لأنها تمنع من الجهل[1]، أي ردوهم، وكفوهم، وامنعوهم من التعرض لي[2]، وقيل للحاكم بين الناس حاكم، لأنه يمنع الظالم من الظلم، والحكمة: العدل[3]، والحكيم: العالم ذو الحكمة، وهو المتقن للأمور، فيقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم.[4]

والحكم: هو مصدر حكم يحكم، ويراد به العلم والفقه، والقضاء بالعدل، فقال تعالى بشأن يحيى بن زكريا عليهما السلام: {وآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وحَناناً مِنْ لَدُنّا وزَكاةً وكانَ تَقِيًّا وبَرًّا بِوالِدَيْهِ ولَمْ يَكُنْ جَبّاراً عَصِيًّا} [سورة مريم: ١٢] أي: علماً وفقهاً، والمحكم: الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب.[5]

أما العلاقة بين الحكم والحكمة: "فالحكم أعمّ من الحكمة، فكل حكمة حكم، وليس كل حكم حكمة، فإنّ الحكم يقضي بشيء على شيء، فيقول: وهو كذا، أو ليس بكذا، والمحكم: المجرب المنسوب إلى الحكمة".[6]

---

01 ينظر: مجمل اللغة لابن فارس: ٢٤٦/١، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني: ص: ١٢٦ - ١٢٧، ولسان العرب لابن منظور: ٩٥٣/٢- ٩٥٤.

02 ينظر: لسان العرب لابن منظور: ٩٥٢/٢.

03 ينظر: لسان العرب لابن منظور: ٩٥١/٢.

04 ينظر: مختار الصحاح للرازي: ص: ١٤٨، ولسان العرب لابن منظور: ٩٥١/٢.

05 ينظر: لسان العرب لابن منظور: ٩٥١/٢- ٩٥٢.

06 لسان العرب لابن منظور: ٩٥١/٢.

تبين مما سبق عرضه أن للحكمة معاني عدة منها: المنع عن الفساد، والجهل. العدل. إصابة الحق. إتيان الأمور على أتم وجه وأحسنه، بلا اختلاف فيها، ولا اضطراب، وبلا أضرار للدين والدنيا. الموعظة، أو الوصية بالمعروف، واجتناب المذكر. الاعتبار بما جرى للآخرين.

الحكمة في الاصطلاح: عُرّفتْ الحكمة بتعريفات عدة، نذكر ما وقفنا عليه منها: عبر بعض الفلاسفة عن الحكمة بأنها: التشبه بالإله بقدر الطاقة البشرية، يريدون بذلك أنها تعني تجنب الخطأ والزلل على قدر الوسع والطاقة، أو أنها تعني فعل الصواب، واعتقدوا أن الحكمة لا تقوم بنفسها، وإنما ينتفع بها المرء بأن يتدبر ويتفكر فيعرف حاله، وما عليه، فعند ذلك يقدم أو يحجم .[7]وعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: "الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات، وفعل الخيرات".[8]

العقل في اللغة مأخوذ من عقل الشيء، إذا أدركه على حقيقة وفهمه وتدبره، وقيل: العقل الذي يميز الانسان عن الحيوان[9]، وقيل: العقل نقيض الجهل، والمعقول ما تعقله في فؤادك والعقلية المرأة المخدّرة المحبوسة في بيتها وجمعها عقائل .[10]وقيل: "العقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل، فيقال رجل عاقل وقوم عقلاء وعاقلون، ورجل عقول إذا كان حسن الفهم وافر العقل" .[11]العقل اصطلاحاً: ذكر العلماء تعريفات عدّة للعقل منها: هو "جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الانسان، وقيل العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل :هو جوهر مجرد من المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، وقيل: قوة للنفس الناطقة، وهو صريح بأن القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة، وأن الفاعل في التحقيق هو النفس والعقل آلة لها، بمنزلة السكين بالنسبة إلى

---

07 ينظر: تفسير الرازي.77-20/74 :

08 المفردات في غريب القرآن: ص: ١٢٦.

09 ينظر: لسان العرب لابن منظور: ٤٣٥/١.

010 ينظر: كتاب العين للخليل: ١٥٩/١.

011 معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/ ٦٩.

القاطع، وقيل: العقل والنفس والذهن واحد؛ إلا أنها سميت عقلًا لكونها مدركة، وسميت نفسًا؛ لكونها متصرفة، وسميت ذهنًا؛ لكونها مستعدة للإدراك، وقيل: العقل: ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب".[12]

أما تعريف علماء علم الكلام للعقل فقد اختلفت هي الأخرى عن تعريفات باقي العلماء، فقد عرّفه الأشعري بأنه: "هو العلم ببعض الضروريات الذي سميناه بالعقل بالملك" .[13] وعرفه القاضي عبد الجبار بأنه: "العلم بوجوب الواجبات العقلية واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات ومجاري العادات اي الضروريات التي يحكم بها بجريان العادات من ان الجبل لا ينقلب ذهب" .[14]ومن التعاريف المذكورة نصل إلى أن العقل هو جوهر الإنسان ومركزه في الدماغ ونوره في القلب، وبدونه يفقد الإنسان ميزانه، فهو صفة ينتقل بها الإنسان من العلم بالضرورة إلى العلم بالنظريات، وإنه متوقف على سلامة آلاته التي هي الحواس، وإنه مناط التكليف، ومن ثم فإنّ الشرائع موجهة إليه في الأساس، ومنوطة به في الأداء، فإذا سقط العقل سقط التكليف.[15]

المنهج

وكان هذا البحث من البحث المكتبي وهو الدراسة التى كان موضوعها الكتاب أو المصادر والمراجع المكتبة الأخري كالمجلات والجرائد وهلم جرا، يعني أن البيانات المطلوبة منها توجد وتبحث عن طريقة الدراسة المكتبة من الكتاب المناسبة بموضوع البحث. ولابد للباحث فيه أن يقوم بأوسع ما يمك ن حتى يتحقق أن البيانات المطلوبة مناسبة بموضوع البحث.

---

[12] التعريفات للجرجاني: ص:١٥١-١٥٢.

[13] اصطلاحات الفنون للتهانوي: ١٠٣٣/٤.

[14] المصدر نفسه.4/1034 :

[15] ينظر: دور العقل في الخطاب الديني عبد المعطي بيومي: ص: ١٤.

البحث والمناقشة

الحكمة في القرآن والسنة النبوية

ذكرت كلمة (حكمة) في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، مذكورة بعدة معانٍ[16]،واختلف علماء التفسير في الآيات الواردة بلفظ الحكمة، وذكر الرازي في تفسيره أن تفسير الحكمة في القرآن الكريم على أربعة أوجه:[17]

بمعنى مواعظ القرآن، قال الله تعالى: {وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٣١]. الحكمة هي الفهم والعلم، ومنه قوله عز وجل: {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم: ١٢]، وفي قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} [لقمان: ١٢]، فكلمة الحكمة هنا تعني الفهم والعلم. كلمة الحكمة بمعنى النبوة كما في قوله تعالى: {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [النساء: ٥٤]، وقوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} [سورة ص:٢٠]، وقوله تعالى: {وآتاه الله الملك والحكمة} [البقرة: ٢٥١]. الحكمة بمعنى القرآن بما فيه من عجائب الأسرار، منها قوله تعالى: {ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ} [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [البقرة: ٢٦٩] .[18]

الحكمة في السنة النبوية الشريفة

جاء لفظ الحكمة في الصحيحين البخاري ومسلم في مواضع عدة، منها: قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها".[19]

وعن ابن عباس قال: ضمني النبي (صلى الله عليه وسلم): إلى صدره وقال: "اللَّهُمَّ علمه الحكمة"[20]، وعنه قال (صلى الله عليه وسلم): "أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة

---

016 ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية: ٣١٢/١.

017 ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير.7/58 :

018 ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير.7/58 :

019 صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، برقم (٧٣): ٢٥/١، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، برقم (٨١٦): ٥٥٨/١.

وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم".[21]

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "الحياء لا يأتي إلا بخير" فقال بشير بن كعب: " مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقار، وان من الحياء سكينة، فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتحدثني عن صحيفتك".[22] وقال (صلى الله عليه وسلم): "إن من الشعر حكمة".[23] وقال (صلى الله عليه وسلم): "فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ" .[24]

مما سبق نلاحظ أن لفظة الحكمة وردت ست مرات في الصحيحين، اثنتان منها متفق عليها، وأربع تفرد بها البخاري، وقد جاءت الحكمة في السنة النبوية على معان عدة منها:

القرآن: وهو بمعنى علوم القرآن وقراءته وتأويله، ويتمثل ذلك في قوله (صلى الله عليه وسلم): "ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها".[25] قال ابن حجر: "قوله (الحكمة): اللام للعهد، لأن المراد بها القرآن"[26]، وقوله (صلى الله عليه وسلم): "اللَّهُمَّ علمه الحكمة".[27] السنة: وهي بمعنى العالم بشرع الله والعمل بها لأنها ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، ويتمثل ذلك في قوله (صلى الله

---

[020] صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب ذِكْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، برقم (٣٧٥٦): ٢٧/٥.

[021] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قُدُومِ الأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ اليَمَنِ، برقم (٤٣٨٨): ١٧٣/٥.

[022] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، برقم (٦١١٧): ٢٩/٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شُعَبِ الْإِيمَانِ، برقم (٦٠): ٦٤/١.

[023] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب مَا يَجُوزُ مِنَ الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالحُدَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ، برقم (٦١٤٥): ٣٤/٨.

[024] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذِكْرِ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، برقم (٣٣٤٢): ١٣٥/٤.

[025] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، برقم (٧٣): ٢٥/١، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، برقم (٨١٦): ٥٥٨/١.

[026] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ١٦٦/١.

[027] صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب ذِكْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، برقم (٣٧٥٦): ٢٧/٥.

عليه وسلم): "الإيمان يمان، والحكمة يمانية"[28]، قال النووي: "وأما الحكمة، ففيها أقوال كثيرة مضطربة، قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد تبين لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك".[29]

العقل في القرآن الكريم

نتعرف فيما يلي إلى نماذج من نصوص الوحي الموجهة للعقل بقصد توجيهه للتأمل والتفكر في حقيقة وجود الله ومعرفة صفاته، وتصحح مساره في قضية الإلوهية التي هي رأس قضايا الإيمان والتصور، إذ بصلاحها تصلح باقي التصورات الإيمانية الأخرى، وذلك من خلال دعوة هذه النصوص الإلهية للنظر والتأمل في الطبيعة بسمائها وأرضها، والتأمل في ذات الإنسان وما اشتمل عليه من تناسق عجيب ودقيق في خلقه، وما أودعه الله فيه من أسرار ما زال العلم يكتشفها باستمرار ويقر بجهله بحقائقها كافة، وكذلك التفكر والتأمل في الوحي المنزل باعتباره الحقائق الإلهية الكاملة المعصومة، وهو الكتاب المعجزة الذي لا يعتريه نقص أو خلل أو زلل، ولا يأتيه الباطل من خلفه، ولا من أمامه، والذي يعلو عن كلام المخلوقات مجتمعة بأنسها وجنها، وكذلك باعتباره الموجه لعقل الإنسان حتى يتوصل لحقيقة الإلوهية والتوحيد الله تعالى، وقد أورد الوحي النصوص أو الدلائل التي تحدث عن وجود الله وخلقه للأكوان تارة مجملة جمعت بين ملكوت السماوات والأرض، وتارة مفصلة لآياته المبثوثة في سمائه، أو في أرضه.

فالمجمل من هذه النصوص أو الدلائل العقلية مثال قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

[28] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قُدُومِ الأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ اليَمَنِ، برقم (٤٣٨٨): ٥/١٧٣.

[29] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: ٢/٣٣.

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤].

فحركة الشمس والقمر والنجوم، وتقلب الليل والنهار وتعاقبهما، وكيفية حركة وتنقل السفن ذات الألواح والدسر في أمواج البحر المتلاطمة، وكيفية إنبات النبات ومراحل نموه، كلها حالات لا يمكن أن تدرك بغير إعمال للفكر والعقل، وهي ظواهر وأسباب لا بد من مسبب حقيقي يجريها على هذا النحو من الدقة وفق سنة وقوانين مضبوطة حتى تؤدى إلى النتائج المفيدة المثمرة، يقول الشيخ ابن عاشور في تفسيره للآية السابقة: "فوجه دلالة هذه الآيات على الوحدانية أن هذا النظام البديع في الأشياء المذكورة، وذلك التدبير في تكوينها وتفاعلها وذهابها وعودها ومواقيتها، كل ذلك دليل على أن لها صانعا حكيما منصفا بتمام العلم والقدرة والحكمة، وهي الصفات التي تقتضيها الإلوهية".[30]

وقال تعالى مشيراً إلى خالقية الله للسماوات والأرض داعيا أصحاب العقول السليمة إلى تدبر ذلك تربية لحس التأمل لديهم {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الألباب} [آل عمران: ١٩٠]، يقول سيد قطب على هذه الآية: "والسياق هنا يصور خطوات الحركة النفسية التي ينشئها استقبال مشهد السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار في مشاعر أولى الألباب تصويرا دقيقا، وهو في الوقت ذاته تصوير إيحائي يلفت القلوب إلى المنهج الصحيح في التفاعل مع الكون، وفي التخاطب الموصول معه بلغته، ويجعل كتاب الكون المفتوح كتاب (معرفة) للإنسان المؤمن الموصول بالله، وبما تبدعه يد الله. [31]

وأما المفصل من هذه الدلائل المثيرة والمستفزة لعقل الإنسان عليه أن يتدبرها ويتدبر ما أشارت إليه من حقيقة الإيمان بالخالق وتصحيح التصور فيه، منها ما كان مختصا بالظواهر السماوية ومنها ما هو مختص بالظواهر الأرضية كعلم الإنسان والحيوان

[30] التحرير والتنوير.2/88 :

[31] في ظلال القران: ٥٤٥/١.

والنبات وتأتي فيما يلي على كل واحد منها بالقدر الذي نستبين معه هذه التربية العقلية القرآنية للإنسان:

أولا: ما اختص من الدلائل بالظواهر السماوية، ونستدل لها بما يلي:

دعوة الوحي الصريحة للتفكر والتدبر العقلي في السماء وما حوته من آيات مبدعة ومتقنة، قال تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} [ق: ٦]، وذمَّ الوحي في مواضع أخرى من أعرض عن التدبر في هذه الآية الكونية الكبرى، من ذلك قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ٣٢]، وقال في آية أخرى يؤنب المشركين على غفلتهم في النظر في ملكوت السماوات والأرض الذي يدلهم على حقيقة الخالق: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت(١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ} [الغاشية: ١٧_١٨].

الدعوة للتدبر والتأمل في كيفية نشوء آيتي الليل والنهار، وارتباط ذلك بحركة كل من كوكب الشمس والقمر والأرض في أفلاكها ومداراتها، على نحو من الدقة والانضباط فيما وضع لها من سنن وقوانين، لا يمكن أن تصدر إلا من قدرة مطلقة حكيمة عظيمة هي قدرة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: ٣٧ - ٤٠]، وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان: ٦١-٦٢]، قال المفسرون في تفسير هذه الآية: "ودلالة خلق البروج وخلق الشمس والقمر على عظيم القدرة، دلالة بينة للعاقل، وكذلك دلالة على دقيق الصنع ونظامه بحيث لا يختل، ولا يختلف حتى يتسنى للناس رصد أحوالها وإناطة حسابهم بها... واختلاف الليل والنهار يعلم أنه لا بد لانتقالهما – من حال

إلى حال – إلى مؤثر حكيم، فيستدل بذلك على توحيد الخالق ويعلم أنه عظيم القدرة، فيؤمن بأنه لا يستحق غيره الإلوهية".[32]

ثانياً: ما اختص من الدلائل بالظواهر الأرضية، فإذا كانت صلة الإنسان بالسماء وما حوته من شمس، وقمر، ونجوم، وكواكب، صلة قد تكون بعيدة، ويصعب معرفة تفاصيل أسرارها، فإن هذا الإنسان في تماس والتصاق بعالم الأرض، يعرف الكثير من أسرارها وأحوالها وأجزائها الماثلة أمام ناظريه، وهي أقرب لبصره وبصيرته ووعيه وإدراكاته من العالم السماوي العلوي، إن الوحي الكريم وهو بوجه عقل الإنسان وتفكيره للنظر في هذا العالم الأرضي فهو بوجه لمكوناته الأساسية:

أولها: قسمها البرّي (اليابسة)؛ وما اشتمل عليه من خواص جغرافية تضاريسية، وخواص زراعية. ثانيها: قسمها المائي؛ وما اشتمل عليه من بحار وأنهار وأودية. ثالثها: قسمها الكائني؛ وما اشتمل عليه من دواب، وتتمثل في الإنسان المستخلف من قبل الله في هذه الأرض، ومجموع الحيوانات البرية والمائية أو الجامعة بينهما، على مختلف فصائلها وأنواع أفرادها. رابعها: قسمها النباتي؛ وما اشتمل عليه من زروع وأشجار بمختلف أنواعها. فالإنسان بتوجيه من الوحي والفطرة السليمة والتأمل هذه الظواهر الأرضية بعقله وبصيرته، لرأي من الإتقان والإبداع في الصنعة والخلق ما ينفى القول بصدقية هذا الخلق، وانجلى له البرهان واضحا ساطعا على حقيقة الموجد المتقن لهذه المخلوقات، واهتدى إلى الرشد وعرف ربه الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وصنعه وتصويره، ونأتي فيما يلي إلى التدليل على هذه الموجهات التربوية العقلية للوحي، التي تبرز للإنسان يد القدرة والإتقان الدالة على حكمة الصانع، الذي صنع هذه الآيات الباهرة في الأرض:

توجيه الوحي للعقل أن يتدبر ويتأمل في حركة الأرض، وتماسكها في مدارها، تدليلا بذلك على عظمة الصنع والإتقان اللذين لا يصدران إلا عن إله قدير حكيم، قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} [النمل: ٨٨]، قال المفسرون في تفسير هذه الآية: "هذا استدعاء لأهل

[32] العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني: ص: ١٠٩.

العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم لما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة، وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم، كما كان معجزة للبلغاء من جانبه اللفظي".[33]

تربية العقل على التأمل في حقيقة الخالق من خلال التأمل في آية (الجبال)، هذا الخلق العظيم ذو الأحجام الهائلة التي تلعب دورا رئيسا في استقرار الأرض أن تميد بأهلها، فكانت بمثابة الأوتاد للأرض، قال تعالى: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [النحل: ١٥]، وقال تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [لقمان: ١٠] (مِنْ كُل)، ثم أعقب هذه الآية بقوله: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [لقمان: ١١]، ففي الآية ربط صريح بإعجاز الله في خلق الجبال، وكونها آية دالة عظمة الخالق، وقدرته، ومن أعمى بصره وبصيرته على هذه القدرة فهو مضل مبين.

العقل في السنة النبوية

فيما يلي سنتكلم عن نماذج من الأحاديث النبوية الموجهة للعقل، وهي: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله"[34]، فهذا الحديث يحث على التفقه في الدين، والتفقه: هو العلم والفهم. وقال (صلى الله عليه وسلم): "... ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه"[35]، وهذا الحديث جعل السعي في طلب العلم طريقا وسبيلا

---

[33] التحرير والتنوير لابن عاشور: ٤٧/٢٠_٤٩، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي: ٣٤/٢٠_٣٥

[34] صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابٌ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، برقم: (٧١): ٢٥/١.

[35] صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، برقم: (٢٦٩٩): ٢٠٧٤/٤.

إلى الجنة، كما جعل التدارس في كتاب الله سببا في نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحضور الملائكة وغيرها من الفضائل والخبرات.

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "لا حسد إلا في اثنتين، رجل أتاه الله مالا، فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها، ويعلمها"[36]، ففي هذا الحديث يحض النبي المسلمين على التنافس في طلب العلم وتعلمه، وتعليمه والدعوة إلى المسابقة في ذلك.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لِيَلِنِي منكم أولو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم ثلاثا، وإياكم وهيشات الأسواق"[37]، يحث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على تقديم أولي الأحلام والنهى، أي أصحاب العقول الراجحة خلف الإمام، ويحذرهم من المنازعات والخلافات وارتفاع الأصوات.

وعن أنس أن النبي (صلى الله عليه وسلم): "مرّ بقوم يلقحون، فقال: لو لم تفعلوا لَصَلُحَ، قال: فخرج شيصاً، فمرّ بهم، فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم[38]، ففي هذا الحديث دلالة على أن من العلم ما يحتاج إلى اكتساب وتعلم، وهو نتاج الخبرة في هذه الدنيا والخبرة ترجع إلى العقل، وفيه دعوة إلى الأخذ بالأسباب.

الخلاصة

رصدت هذه الدراسة لفظة (الحكمة والعقل) في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبعد تمام هذا البحث وصلت إلى أبرز النتائج، وهي كما يلي:

"الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات، وفعل الخيرات". العقل: "جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الانسان، وقيل العقل نور في القلب يعرف

---

[36] صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابُ الِاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، برقم: (٧٣): ١/٢٥.

[37] صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، وَإِقَامَتِهَا، برقم: (٤٣٢): ١/٣٢٣.

[38] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، برقم: (٢٣٦٣): ٤/1836.

الحق والباطل". إن لفظة (الحكمة) في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، مذكورة بعدة معانٍ ، ووردت ست مرات في الصحيحين، اثنتان منها متفق عليها، وأربع تفرد بها البخاري، وقد جاءت الحكمة في السنة النبوية على معان عدة كذلك. أورد الوحي النصوص أو الدلائل العقلية التي تحدث عن وجود الله وخلقه للأكوان تارة مجملة جمعت بين ملكوت السماوات والأرض، وتارة مفصلة لآياته المبثوثة في سمائه، أو في أرضه.

المراجع

التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤هـ.

التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية- بيروت،، ط: ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

دور العقل في الخطاب الديني، عبد المعطي بيومي، دار الشرق- مصر، ط: ١، ١٩٩٩م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، دار احياء التراث العربي- بيروت، ط: ٤، ١٩٨٥م .

صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، ط: ٤، ١٩٨٦م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩ه.

في ضلال القران، سيد قطب، دار الشرق – بيروت، ط: ١١، ١٩٨٥م.

كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.

لسان العرب ،محمد بن مكرم بن علي، ابو الفضل جمال الدين ابن منضور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت: ٧١١ه)، دار صادر_ بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- بيروت، الدار النموذجية- صيدا، ط: ٥، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر، ط:٢، ١٤٠٩ه-١٩٨٨م.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني ، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- بيروت، الدار الشامية- دمشق، ط:١، ١٤١٢ هـ.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ٢، ١٣٩٢ه.